الحمد لله الـذي جعل في كل زمـان فـترة من الرسل بقايا من أهل العلم : يهدون من ضل إلى الهدى ويبصرونهم من العمى ، ويحيون بكتـاب الله الموتى ، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه وكم من ضال تائه قد هـدوه فما أحسن أثرهم عل الناس وما أسوأ أثر الناس عليهم .

وصلى الله على نبينا محمد المجتبى الأمين وآله وصحبه وسلم تسليمًا .

أما بعد : فـإن الحـديث عن العلمـاء – تبصـيرًا بسـيرهم ، وتعريفًا بحياتهم ، ونشرًا لفضائلهم ، وإذاعة لمنـاقبهم – مما ينفع الأمة أكـبر النفع ، لأن فيه وصلَ الحاضر بالماضي ، وحثَّ المتأخر على الاقتداء بسجايا الخير التي تحلوا بها ، وفيه معرفة طلبة العلم بحال علمـائهم وسـيرتهم وفقههم وعلمهم وتقواهم وصلاحهم فينهلوا مما نهل منه أولئك العلماء حتى يلحق الـركب بـالركب ويقـعَ الحـافِرُ على الحـافر ، وفيه تعريف أجيـال الأمة المتلاحقة بـأن أمتهم ودعـوتهم ما وصـلت إلى علو الشـأن إلا بتوفيق الله وإعانته ثم بجهد وعمل بذله من تقـدمهم فـإن تواصل العمل تواصـلت الريادة ، وإلا فالنقص ثم الزوال ، وفي الكلام عن العلماء فوائد لا تحصى في مثل هذه المقدمة .

من أولئك العلمـاء العـاملين ، والجهابـذة المحققين والأئمة المجاهدين الـذين أثـروا في حيـاة بلادنا والنـاس تـأثيرًا ، تعليمًا ودعـوة ، وقيادة وقدوة : العلامة الإمام محدث الفقهـاء ، وفقيه المحـدثين ، وداعية التوحيد مفتي الديار السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الـرحمن بن حسن بن الإمـام شـيخ الإسـلام محمد بن عبد الوهـاب التميمي النجدي .

✂مولده – نشأته – أسرته :

ولد الشيخ رحمه الله في حي دخنة من مدينة الريـاض في شـهر الله المحـرم سـنة 1311هـ ، وأخواله الهلالي أسـرة تسـكن عرقة ، نشأ هـذا المولـود في بيئة ومجتمع زكي ، فـأبوه وأعمامه أهل علم ودعـوة وجهـاد وصف ذلك الشـيخ عبد الله بن بسـام فقـال : " كـان مولـده في بيت علم

وفضل وزعامة دينية ، فنشأ على عـادة أهله وآبائه محبًا للعلم طموحًا إلى الفضل " .

وبنشأ الناشئ يقتبس من أخلاق وأوصـاف من حوله ، فوالد الشـيخ هو الشـيخ الـورع إبـراهيم ابن عبد اللطيف قاضي مدينة الريـاض ، وله رسائل وفتاوى ، كان رحمه الله متميزًا بالعدل الظاهر في قضـائه ومقابلة الخصوم ، وكان ناظمًا للشعر مجيدًا له كأبيه عبد اللطيف .

وأما أعمـام الشـيخ محمد فـأكبرهم الشـيخ عبد الله بن عبد اللطيف عـــالم نجد بعد أبيه ، وقائـــدها وكريمها ، بهر الرجـــال بحنكته وعقله ، وأدهشـهم بعلمه وفضـله ، هابه أمـراء المـدن والأقـاليم الـذي عقبـوا آل سـعود فيما بين الـدولتين السـعودية الثانية والثالثة ، فـأظهروا محبته تـارة وأضـــافوه في بلادهم ، وأكرمـــوه ، فما حل ببلد ولا قرية إلا نشر دعـــوة التوحيد والعلم النـافع ثم رجع إلى الريـاض ، ثم لما قـدم الملك عبد العزيز رحمه الله الرياض كان سنده وعضـده بعقل وحكمة ، بل إن كثـيرًا من جند الملك عبد العزيز كـانوا من المتـأثرين بالشـيخ المتخـرجين في حلق علمه ومدرسته ، رحمه الله رحمة واسعة .

وكـذلك بقية أعمـام المـترجم له كـانوا أهل علم وفضل كالمشـايخ محمد بن عبد اللطيف وعبد العزيز وعبد الـــرحمن وعمر ، ولهم أخبـــار وأحـوال كـالعبير رحيقًا ، وصـفهم الواصـفون بنعـوت أشـبهوا بها الأوائل سمتًا وهديًا وعبادة وصلاحًا وعلمًا ، رحمهم الله ووفق ذرياتهم .

نشأ الشـيخ في هـذه الأسـرة فلا غـرو أن أثـرت فيه ، وقد نهل منها واحتـذى حـذوها ، فتوجه بتوفيق الله من أثر هـذه البيئة والمجتمع الـذي حوله إلى العلم قابســًا من عقل ذوي العقل ، وتقى ذوي التقى ، وغـيرة ذوي الغـيرة وكلهم ذاك الرجل ، فطلب العلم على قاعـدة الـدين والعمل والعقل والغيرة لله فكان ذلك معلمًا بارزًا لنبوغه وتهيُّؤه للقيادة والريادة .

لما بلغ السـابعة من العمر أي سـنة 1318هـ شـرع يتعلم القـرآن بتجويـده نظرًا على المقـرئ ذي الصـوت العـذب المـؤثر عبد الـرحمن بن مفـيريج ، فأجـاده نظرًا ، ثم ابتـدأ حفظه في سن الحادية عشـرة ، وتعلم الكتابة وكـان إذ ذاك مبصرًا ، وكتابته في صـغره حسـنة على أصـولها كما ينبئ عن ذلك ورقة فيها كتابته إذ ذاك .

بعد هذا الأساس الأول لمن يريد طلب العلم الشرعي بحق – أعـني حفظ القرآن – شرع يقرأ على مشايخه فكان أولهم والده الشيخ إبـراهيم ، فقرأ عليه في مختصرات رسائل أئمة الدعوة ونُبَذ إمام الدعوة رحمه الله ، كـان يحفظ المتن ثم يقـرؤه على والـده ثم يشـرح له والـده ما يُفهمه مـرامي كلامِهم ، وأصـول مسـائلهم ، وهكـذا ينبغي أن يكـون التوحيد هو أول مُتَعَلَم ، وإنما يفهم ويضـبط بضـبط متونه قبل شـروحه ، إذ من حفظ وضبط المتون حاز الفنون .

ولما بلغ قريبًا من السادسة عشـرة مـرض بالرمد في عينيه ، وطـال معه إلى قرابة سنة ، إلى أن كفَّ بصره عوضه الله الجنة .

بعد هذا شرع في حفظ القرآن وتثبيته وتنوع القراءة على مشايخه ، كما سيأتي فيما بعدُ .

وفي 6/12/1329هـ تُوفي والده عن عمرٍ يقارب 49 سنة إذ مولده سنة 1280هـ وكان للشيخ إبراهيم أربعة أبناء كبيرهم عبد الله (1305 – 1386هـ) ثم محمد ثم عبد اللطيف (1315 – 1386هـ) ثم عبد الملك (1324 – 1404هـ) ، وكلهم عُرف بالعلم والحلم والسداد رحمهم الله أجمعين .

فكان الشيخ رحمه الله لصغار إخوته حانيًا ومربيًا ومعلمًا .

✂ تعلمه – مشايخه :

جدّ الشيخ في تلك السن المبكرة على طلب العلم ، فتنقل بين علماء بلده يأخذ عنهم العلوم الشرعية الأصـلية والمسـاندة ، فأخذ عن كل شـيخ من مشايخه العلـوم الـتي يدرسـها ، وبـالأخص ما يتمـيز به كل شـيخ من العلوم ، ولهذا بـرع فيما درس لبراعة مشـايخه وحسن اسـتعداده العلمي والفطري : ففي التوحيد صـارت له يد التحقيق ، وفي الفقه رسـخت قدمه في الاجتهاد ، وفي العربية وعلومها صـار معلمها الشـارح لها أحسن شـرح وهكذا في سائر العلوم ، ولا غرو أن كان كذلك إذ إنه تتلمذ لمشايخ برعوا في علومهم ، ومشايخه هم :

1 – والده الشيخ إبراهيم . (1280 – 1329هـ) .

2 – عمه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف . (1265 – 1339هـ) .

3 – الشـيخ النحـوي الفرضي الفقيه حمد بن فـارس . (1263 – 1345هـ) .

4 – الشيخ المحدث الفقيه سعد بن عتيق . (1279 – 1345هـ) .

5 – الشيخ الفرضي عبد الله بن راشد . (وفاته 1339هـ) .

6 – الشيخ الفقيه محمد بن محمود . (1250 – 1333هـ) .

قرأ على والده أصول التوحيد ومختصراته ، والفـرائض ، ثم توسع في الفرائض على الشيخ عبد الله ابن راشد فقرأ عليه ألفية الفرائض .

وقـرأ على عمه كتبًا كثـيرة حفظًا منها كتب العقائد والتوحيد ككتـاب التوحيد وكشف الشبهات وثلاثة الأصول ونحوها ، وبقية كتب أئمة الدعوة ، وقـرأ الواسـطية والحموية لشـيخ الإسـلام ابن تيمية ، وحين يقـال : قـرأ فيعني حفظ غالبًا ، وفهم ذلك وجوَّده .

وقـرأ في الفقه مختصـراته أولاً على الشـيخ حمد بن فـارس فحفظ زاد المستقنع ، ثم قـرأ على الشـيخ محمد بن محمـود ثم الشـيخ سـعد بن عـتيق ، وكـان هـؤلاء الثلاثة ممن برعـوا في الفقه وحققـوا مسـائله ، وضبطوا غرائبه .

وأما في الحديث : فقد حفظ بلوغ المرام وقريبًا من نصف " منتقى الأخبـار " للمجد ابن تيمية وقرأهما على عمه الشيخ عبد الله ، وكرر قراءة بلوغ المرام على المحدث الشيخ سعد بن عتيق وأمرّ عليه ألفية العراقي .

وقد أُعطي إجـازات في الحـديث متنوعة وروى بأسـانيده عـددًا من الأحاديث إلى رسول الله ✕ بسماعٍ لا إجازة ، ولولا خشـية الإطالة لسـقت ذلك مفصلاً .

وأما في علـــوم العربية : فقد حفظ من متونها ما به تثبت القـــدم ، ويرسخ الفهم ، فقـرأ الآجرومية ، وملحة الإعـراب للحريـري ، وقطر النـدى لابن هشام ، وألفية ابن مالك المشهورة ، قـرأ هـذه المتـون على العلامة النحوي الحليم المتورع الفقيه الشيخ حمد بن فارس .

وقد دَرَّس الشيخ بعد ذلك هذه المتون النحوية فبرز في ذلك .

نعم .. إن للأخذ عن المشـايخ فوائد مع الحصـيلة العلمية ، فالتلميذ يقبس من أخلاق مشـايخه ويتـأثر بسـجاياهم والخصـال الجميلة الـتي يتحلون بها .

ولا غرو أن رأينا مشايخ الشيخ محمد بن إبراهيم متنوعين فيما منحهم الله به ، فهاهو الشيخ عبد الله عمه جمع إلى العلم الدهاء والعقل وحسن السياسة والقيادة ، والشيخ سعد بن عتيق جمع إلى العلم الصدع بالحق والقوة فيه ، والشيخ حمد بن فارس جمع إلى العلم الحلم العجيب والورع عن المشتبهات ، والتوقف عن المزلات .. وهكذا ، ومن نظر في خصال المترجم له وشخصيته وبنيته العقلية والخُلُقية والعلمية كاد أن يجزم أنه جمع المحاسن التي تفرقت في مشايخه ، وتحلى بالفضائل التي تبددت في غيره ، وليس في هذا مبالغة ولكن من عرفه علم ما ذكرناه .

✂ إخوانه – زملاؤه :

سبق أن ذكرت أن للشيخ ثلاثة من الأخوة هم الشيخ عبد الله وكان إمامًا لمسجد ابن شلوان في الرياض وكان – إضافة إلى علمه – متميزًا بصفاتٍ كلين العريكة وطيب المعشر وضبط الحديث وحسن الخلق ، وكان من العارفين بالأنساب الضابطين لها ، وكان أخباريًا ثبتًا في حديثه ، والشيخ عبد الله أسن من الشيخ محمد رحمهما الله ، وقد كان الشيخ ينيبه أحيانًا لخطبة الجمعة .

والشيخ عبد اللطيف كان حليف الود للشيخ محمد من صغره ، كان مرافقًا له في ذهابه وإيابه غالبًا ، قريبًا منه ، وكان معينًا له في تحضير الدروس ، والشيخ عبد اللطيف كان – إضافة إلى علمه الشرعي – من الأدباء الشعراء ، والنحويين الغرضيين ، فله الشعر الرائق المحفوظ ، وقد درَّس الطلاب مع الشيخ محمد ونيابة عنه في فنون العربية والفرائض وغيرها .

وكان متميزًا ببذل نفسه للناس يخدم هذا ، ويكتب لذاك ، ويشفع لهذا ويعطي ذاك ، وربما أرهقه الناس بما يرغبون فيه وهو صابر عليهم ، فربما خرج من المسجد في اليوم الحار فأمسك به ذوو الحاجات فيقضي لهم ما يقدر عليه من كتابة وغيرها ويدوم ذلك الساعة وأكثر وهم وقوف في الحر فيما بين المسجد والبيت ، هكذا حدثني من رأى ذلك .

ومحبةُ الشيخ رحمه الله لأخيه تظهر في أبيات إخوانية نظمها الشيخ محمد وأرسلها للشيخ عبد اللطيف لما سافر في مهمة شرعية ، قال فيها :

فإما أنختم بالـفنا ولـقيتمـوا شقيقي حليف الود مذ هو صغير
فقولوا له يهدي السلام مضاعفًا إليك محب فـي هـواك أسـير
ويهدي تحيـاتٍ كأن أريجهـا لـــــدى النشر يا عبد اللطيف عبـير
إلى آخرها

والشــيخ عبد اللطيف قد تــولى مناصب شــرعية آخرها نــائب رئيس الكليات والمعاهد العلمية (جامعة الإمام حاليًا) .

وأما الشــيخ عبد الملك فهو الخيِّر الصــامت ، الوقــور الليِّن ، الآمر بـالمعروف والنـاهي عن المنكر جمع إلى علمه من صـفات الخـير وبـذل المال والمعروف ما يَشْهد به له من عرفه ، كان قريبًا من الشـيخ وصـحب الشــيخ محمدًا في ســفره إلى (الغطغط) لما أقــام فيها الســتة أشــهر للــدعوة والتعليم والقضــاء ، وكــان يكتب أحيانًا للشــيخ ، فهو بمثابة الابن لأخيه الأكبر .

وكان رحمه الله رئيسًا لهيئات الآمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المنطقة الغربية .

أما زملاؤه : فــأخص منهم الشــيخ عبد العزيز بن صــالح المرشد المولود سنة 1313هـ ، كـان رفيقًا للشـيخ في طفولتهما ، وفي شـبابهما ، وفي طلبهما للعلم ، طلبا سويًا ، وتنقلا بين المشايخ سنيًا .

كان مما حدثني أنه استأجر هو والشيخ بيتًا صغيرًا ، وضعا فيه كتبهما ، اســتأجراه للتفــرغ فيه للمطالعة فكانا يأويــان إليه يحفظــان ويدرســان ويتذكران ، وكانت الأجرة 7 ريالات عربية .

الشيخ عبد العزيز بن صالح رحمه الله إذا جلست معه ذكرت السلف ، ورأيت الزهد والتقوى ، والعلم والـورع ، والحكمة والأخبـار ، وأحسـبه من الزاهـدين العلمـاء ، له لهج بالـدعوة دعـوة التوحيد ، ومحبة لأهلها ، حلقة علمه بعد مغـرب كل يـوم دامت عقـودًا من الأعـوام ، وليت المقـام أوسع من هذا لأذكر ما أعرفه عنه فهو عَلَمٌ قلَّ من يعرف أحواله وخصاله .

دامت صحبته وزمالته للشيخ محمد إلى وفاته ، وقد ذكر لي أنه ما ترك الشـيخ محمدًا في دعائه أبدًا في صـلاة الليل (يعـني آخر الليل) ، لأنها صحبة دين ومحبةٌ لله رحمهما الله ، وجمعهما في الفردوس .

✂ حياته العلمية ، ودروسه المنهجية :

توفي الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف وكان كبير علماء الرياض بل نجد وقد أوصى الملك عبد العزيز ابن عبد الرحمن رحمه الله عند وفاته بالشـيخ محمد بن إبراهيم ، متوسمًا أنه سـيكون له شـأن ، وكـان الشـيخ محمد إذ ذاك ابن 28 سـنة ، فقبل الملك الوصـية ، وكـان الشـيخ محمد ينـوب عن الشـيخ عبد الله في إمامة مسـجده في آخر أيامه ، فلما تـوفي لم يصل الشيخ محمد ، وكـان مما بلغـني أنه قـال : إن هـذه وظيفة شـرعية وكـان صاحبها منيبًا لي فلما توفي فلا وكالة ، وهي راجعة إلى الإمـام ، فلم يصل بالمسجد حتى أتـاه تكليف بـذلك من الإمـام وهو الملك عبد العزيز رفع الله درجته ووفق عقبه .

وتلك كانت بداية فقه وريادة وعقل وقيادة .

صـار الشـيخ محمد إمامًا لمسـجد الشـيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهـاب المعـروف في حي دخنة بالريـاض – وهو المسـمى الآن مسـجد الشـيخ محمد بن إبـراهيم – فابتـدأ فيه بعض الـدروس العلمية ، في مختصـرات التوحيد ونحوها ، وكـانت دروسه تـزداد في قوتها ومنهجيتها ، حـتى بلغت أوجها فيما بين سـنة 1350هـ – 1370هـ ، والسـنون العشر الأخيرة متميزة بقـوةٍ علمية أبهـرت النـاس إذ ذاك ، ولم يـزل على دروسه حتى سنيه الأخيرة من عمره المبارك رحمه الله رحمة واسعة .

وقد ذكر تلامذة الشيخ رحمه الله وصفًا لدروسه ، فقـال الشـيخ محمد بن العلامة عبد الرحمن بن قاسم : " كان يجلس ثلاث جلسات منتظمة :

فالأولى : بعد صلاة الفجر إلى شروق الشمس

والثانية : بعد ارتفـاع الشـمس مـدة تـتراوح ما بين سـاعتين وأربع ساعات .

والثالثة : بعد صلاة العصر .

وهناك جلسة رابعة لكنها ليست مستمرة ، وهي بعد صلاة الظهر .. "

قال ابن قاسم :

" كان رحمه الله ينقطع بعد المغرب لمطالعة دروس الغد في الكتب التي كانت تدرس بعد الفجر ، ومنها : الروض المربع ، وسبل السلام ، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك وما يعين عليها من المراجع .

وفيما يلي عرض للكتب التي كان يقوم رحمه الله بتدريسها :

1 – بعد صلاة الفجر : ألفية ابن مالك مع شرح ابن عقيل ، وزاد المستقنع مع شرحه الروض المربع ، وبلوغ المرام والآجرومية والملحة وقطر الندى ، وأصول الأحكام والحموية والتدمرية ونخبة الفكر .

الثلاثة الأول مستمرة وكان يقوم بتدريسها على ترتيبها المذكور أما في باقي الكتب فبالتعاقب على فترات مختلفة طيلة أيام تدريسه .

2 – بعد شروق الشمس : يدرِّس في العقائد كتاب التوحيد ، كشف الشبهات ، ثلاثة الأصول ، العقيدة الواسطية باستمرار ، مسائل التوحيد مسائل الجاهلية ، لمعة الاعتقاد ، أصول الإيمان على فترات ، وفي الحديث : الأربعين النووية ، عمدة الأحكام باستمرار ، وفي الفقه آداب المشي إلى الصلاة ، وقد يُدرِّس غيرها ، لكنه نادر .

وبعد الانتهاء من هذه المختصرات تقرأ المطولات ومنها : فتح المجيد ، شرح الطحاوية ، شرح الأربعين النووية ، صحيح البخاري ، صحيح مسلم ، السنن الأربعة ، مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وابن كثير بدون استثناء ، وكل ما جد من كتب السلف والمحققين من العلماء ، ولكنها على فترات يتراوح ما يقرأ منها في اليوم ما بين خمسة وعشرة غالبًا .

3 – بعد صلاة الظهر ، ويدرس فيه : زاد المستقنع بشرحه ، وبلوغ المرام .

4 – بعد صلاة العصر ، ويدرس فيه كتاب التوحيد وشرحه ، وقد يقرأ في مسند الإمام أحمد ، أو مصنف ابن أبي شيبة ، أو الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح ، أو نحوها " اهـ ما وصفه الشيخ ابن قاسم .

وهذا الوصف يمثل فترة من عمر الشيخ وهي في الغالب ما بعد الستين ، وقد ذكر لي بعض طلبة الشيخ أن تحضيره للدروس كان بعد

العشاء ، وبعد المغرب ربما قرىء عليه في كتب خاصة لا يحب أن يسمعها كل أحد ، فقد حدثني الشيخ حسن بن مانع أن الشيخ محمداً اختصه بحضور بعد المغرب ، قال : فكان يقرأ عليه في (معجم الأدباء) لياقوت الحموي .

والأخبار عن دروسه كثيرة لكن اخترت كلام الشيخ ابن قاسم لأنه يمثل وصفاً جيداً لفترة سنين من عمر الشيخ رحمه الله .

وهذه المنهجية في التدريس هي التي تخرج العلماء ، حفظ للمتون وبيان وشرح لها ، وضبط للأصول ، ومعرفة الأدلة ، فبهذا تبنى القواعد العلمية الراسخة للمتعلمين ، أما القراءة في المطولات دون إحكام للأصول والمتون فعلى أي أس تبنى ، وعلى أي قاعدة ترفع .

فلا بد للمعلمين والمدرسين من النظر في هذه المنهجية ، وقد تمثلت في عمل الشيخ إلى تقسيم الطلاب إلى ثلاث طبقات :

مبتدئون – متوسطون – منتهون .

ولكل ما يناسبه من المتون والكتب ، ولا يخلط بين طبقاتهم حتى لا يضعف العلم عندهم جميعاً .

قال الشيخ محمد بن قاسم كان الشيخ " يحرص جداً على أن يحفظ جميع الطلاب المنتظمين المتون ولا يرضى بنصف حفظ ، ولا ينتقل الطالب من متن إلى متن أطول منه إلا بعد حفظ الأول وفهمه ، ولذا كان الطالب المجد منهم يتخرج في سبع سنوات " اهـ .

✂ منهجه في التعليم :

كان للشيخ رحمه الله منهجية جعلت الطلاب في قوة علمية مؤتلفة غير مشتتة ، ففي التوحيد كان اهتمامه بكتبه التأسيسية التي تبين العقيدة الحقة بأدلتها ، وكان لا يذكر الخلاف في الاعتقاد ، فلا يعرج على مذاهب الخرافيين والمبتدعة وشبههم إلا إذا دعت الحاجة ، بينما تجد أكثر التفصيل والتدليل على معتقد أهل السنة .

وهذا – ولا شك – يعطي قوة علمية استدلالية ، وثباتاً في موقف الحق ، وعدم تشويش الأذهان بكثرة الأقوال المبتدعة ، وهذا لأجل أن المبتدعة وأقوالهم لم تكن مشتهرة ؛ فإذاً لا يحتاج إلى الكلام المطول عليها .

وأما في الفقه : فقد جعل دروسه منبثقة من متون الفقه الحنبلي ، ومتونه محررة الصور مدققة اللفظ ، تفتق ذهن الطلاب ، وتقوي إدراكهم

الفقهي ، فاعتماد متن لمذهب هو خير طريقة لتحصيل الفقه ، فبه يبنى الذهن الفقهي ، وبه تؤسس قواعد التصور للمسائل الفقهية ويأتي بعد ذلك التفريع والتدليل وذكر الخلاف والترجيح فتكون معرفة الأقوال بعد إحكام الأصول وضبط تصور المسائل ، وعلى هذا كانت دروس الشيخ رحمه الله ، فقد كان يعرض للمتن وهو (زاد المستقنع) بشرحه الروض المربع ، فيبين عبارة الماتن بدقة ، ووضوح عبارة ، ويصور المسألة تلو المسألة بحيث لا تشتبه مع نظيراتها في ذهن الطلاب ، ولا يبدأ بالاستدلال أو ذكر الخلاف كما يفعل بعضهم في الجامعات ، بل إحداث تصور المسائل كان هو المطلب الأول .

ثم يذكر الدليل مع وجه الاستدلال ، أو التعليل ، أو إرجاع حكم المسألة إلى أصل أو قاعدة أو نحو ذلك من الحجج ، وربما ذكر الخلاف في بعض المسائل إذا كان الخلاف فيها قويًا ، أو كان مشتهرًا بين الناس ، أو كان هناك حاجة لبيانه ، وغالبًا ما يذكر اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وأئمة هذه الدعوة رحمهم الله تعالى .

وأما مطولات الفقه والشروح فلم يكن يفصل الكلام عليها بنحو ما سلف ، ولكن يذكر بعض ما يحتاج إلى إيضاحه .

وهذه هي الطريقة النافعة التي درج عليها علماؤنا السابقون ، وبها صعد في مدارج التفقه فئام نفعوا العباد والبلاد رحم الله الميت وحفظ الحي .

✂ تلامذته :

لقد كان الشيخ رحمة الله عليه أمة في قلب رجل ، وكان جامعة متعددة الكليات فلا غرو – إذن – أن تخرج به المحدث والفقيه والأديب واللغوي ، والقاضي والداعي ، صدروا عن رجلٍ واحد لأنه – بتوفيق الله له ولهم – بذل علمه لهم ليله ونهاره ، وهكذا فليكن الرجال .

ولقد تلمذ للشيخ عدد لا يحصون كثرة ، تولوا التدريس في المعاهد والكليات ، وولوا القضاء ، وولوا الفتيا ، وولوا التوجيه والإرشاد ، وولوا

الدعوة والإصلاح ، هؤلاء لا يمكن أن يحصوا كثرة ، ولا يمكن تعدادهم جميعًا ، وإن كان قد أحصي من أبرزهم قرابة مائة وتسعين تلميذًا .

لكن نذكر هنا بعض أكابر طلبته ، كإشارة لا حصرٍ ، التسعة الأول على ترتيب العلامة الشيخ ابن بسام لهم :

1 – سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل باز رحمه الله .
2 - = = عبد الله بن محمد بن حميد رحمه الله .
3 – = = عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله .
4 – الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي ، الداعية المشهور ، رحمه الله .
5 - = عبد العزيز بن ناصر الرشيد ، رحمه الله .
6 - = عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله .
7 - = عبد الملك بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله .
8 - = عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ حفظه الله .
9 - = إبراهيم بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ حفظه الله .
10 - = صالح بن غصون رحمه الله .
11 - = صالح بن محمد اللحيدان حفظه الله .

وغيرهم كثير ، وقد وصفه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة الحلبي في (فقهاء معاصرون) بقوله : " كان الشيخ (أمة) في جسد رجل ، وكان مسجده (جامعة) في قلب نجد ، ملأت بلاد نجد وغيرها علمًا ، وأنارتها بعلوم الشريعة ، قبل أن تبنى مدارس التعليم والمعاهد والكليات والجامعات ، التي هي أثر من آثار نهضة الشيخ العلمية رحمه الله تعالى وجزاه عن العلم والدين والإسلام خيرًا .

وكانت علوم الشيخ عيونًا صافية متدفقة ، أروت الظماء ، وأنشأت العلماء ، وأسس الشيخ بجهوده المخلصة لنهضة علمية كبرى ، فقد تخرج به أعداد كبيرة لا تحصى من العلماء والمحصلين ، وحسبك أن تعلم أن جل أكابر علماء المملكة اليوم هم من تلاميذه ، وهم الذين يشغلون أعلى المناصب العلمية والدينية ، ويملأون مناصب القضاء والافتاء والتدريس والوعظ والإرشاد والدعوة إلى الله تعالى " اهـ .

✂ أخلاقه وشمائله :

وصف شـيئًا من شـمائله وأخلاقه الشـيخ محمد بن قاسم فأجمل ما ذكر في الآتي :

1 – الحافظة النادرة : كان يحفظ المتن للقراءة الثالثة ، وربما الثانية ، وكانت المعاملة الطويلة التي تبلغ (300 صفحة) تقـرأ عليه ثم يملي ما يـرى مستحضرًا كل ما مر فيها من الجزئيـات ، ولم يكن غريبًا أن يـدل القارئين على مواضع الأبحاث في كتبها ، ذاكرًا رقم الصفحة أحيانًا .

2 – رزق الذكاء و(الفراسة) : فكـان يـدرك حقيقة ما يعـرض عليه من المشكلات فيكشف ما وراءها من الدوافع ببصيرته الفـذة ، ولم يكن ينطلي عليه كيد أو احتيـال ، وحياته كلها أمثلة من هـذا النـوع فلسـنا بحاجة إلى ضرب الأمثلة لها ؛ فأكثر العارفين له يدركون ذلك .

3 – الإخلاص في العمل ، فلم يكن طـــالب شـــهرة ، ولا باحثًا عن سمعة ، ولم يعرف عنه أنه تحدث عن أعماله على جلالتها وكثرتها .

4 – طهـارة قلبه ، فكـان لا يحمل ضـغينة على من أسـاء إليه ، ولا ينتقم من أحد ناله بأذى ، وله في ذلك أحوال عجيبة .

5 – كان شـجاعًا قـويّ الشـكيمة ، لا يـتردد في إعلان الحق أيًا كـان المخاطب به .

6 – كـان يكـره المتملقين والمـتزلفين وله في ذلك مواقف يحفظها التاريخ .

7 – كـــانت له الهيبة العظيمة في نفـــوس النـــاس ، يحسب محدثه الحساب الدقيق حتى لا يـزل في كلمة أو يخطئ في فكر ، ومع ذلك كـان أنيسـًا عند مخالطته ، ألوفًا لمعاشـريه ، لا يتصف بشـيء من الفظاظة أو الغلظة .

8 – كان متنـزهًا عن الغيبة : عرف بذلك منذ حداثة سنه حـتى فـارق الـدنيا ، ولم يكن يسـمح لأحد أن يتحـدث في مجالسه بمثـالب الآخـرين أو تنقصهم ، بل كان يزجر من حاول ذلك .

9 – ومما لا يعرفه كثـــــيرون عنه ما يتصف به رحمه الله من العفة والتورع عن أخذ ما ليس له أو ما يرى فيه شبهة ، فكان حريصـًا على أن لا يدخل نفسه في مداخل مشتبهة .

10 – كان من أهل الخشية ، كثيرًا ما يلهج بذكر الله والاستغفار ، وتغرورق عيناه بالدموع حين يكون مناجيًا لله ، أو يسمع بعض ما يحرك القلوب ، ولقد كان ذلك يتجلى كثيرًا فيما يحييه من الليل بالصلاة التي كان يواظب عليها في إقامته وسفره ، وقد صحبته – القائل هو ابن قاسم – زمنًا طويلاً وهو يقوم ما يقرب من ساعة ونصف آخر الليل لا يترك ذلك .

✂ مؤلفاته :

أملى الشيخ رحمه الله كتبًا ورسائل وفتاوى متنوعة ، وكانت حياته مليئة بالتعليم والدعوة والمهمات الكبار التي أنيطت به من فتوى ومتابعة القضاء ، وتمييز الأحكام ، ومع هذا فقد كان له آثارٌ علمية منها :

1 – فتاواه التي طبعت مع رسائله في ثلاثة عشر جزءًا قام بجمعها وإعدادها للطبع وترتيبها الشيخ محمد بن قاسم أثابه الله ، قمتُ بتحقيقها والتعليق عليها ، يسَّر الله طبعها .

2 – رسائل متنوعة طبعت في حياته ثم أدرجت مع مجموع فتاواه ورسائله ، ومنها :

1 – الجواب الواضح المستقيم في التحقيق في كيفية إنزال القرآن الكريم .

2 – تحكيم القوانين .

3 – نصيحة الإخوان في الرد على الشيخ ابن حمدان .

4 – الجواب المستقيم في نقل مقام إبراهيم .

3 – كتاب تحفة الحفاظ ومرجع القضاة والمفتين والوعاظ : وهو كتاب في الحديث ، جمع فيه المفتي رحمه الله ما يقرب من ألف حديث ، قال رحمه الله في (مقدمته) :

" هذا مختصر يحتوي على ألف حديث صحاح اقتصرت فيه على ما خرجه الشيخان أو أحدهما ، عدا أحاديث صحيحة يسيرة جدًا خرّجها غيرهما ، وقد أتى بحمد الله على عامة أبواب الدين من أصول وفروع ودعوات وأذكار ، ومواعظ وحكم وآداب وغير ذلك مما ستقف عليه في مواضعه .. " اهـ ، والكتاب في مجلد متوسط .

وهذا الكتاب متميز عن غيره بمميزات ، وقد ظهر في انتقاء الشيخ للأحاديث الفقه والاستنباط ، وليس هذا موضع بسط ذلك ، والكتاب مخطوط بعدُ يَسَّر الله طبعه ، وقد جاء في خاتمته :

" وقع الفراغ من تأليف هذا الكتاب المبارك خامس شهر ذي الحجة سنة أربع وسبعين وثلاثمائة وألف (1374هـ) ووقع الفراغ من تبييضه آخر ذي القعدة سنة خمس وسبعين وثلاثمائة وألف من هجرة من له العز والشرف ✕ بمكة المكرمة زادها الله تشريفًا وتكريمًا على يد جامعه الفقير إلى عفو ربه محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم " اهـ .

4 – نظم علمي لمقدمة كتاب (الإنصاف) للمرداوي ، وهو من كتب المذهب الحنبلي المشتهرة ، جاء مؤلفه في أوله باصطلاحات ، وبذكر للكتب التي نقل منها ، فنظم جل المقدمة سماحة المفتي رحمه الله ، قال فيها :

حمدًا لمن فقهنا مصليا على محمد وبعد فادريا
مراجع الإنصاف من متن ومن شرح مع مؤلفيها واستبن
وبعضها نواقص أعرضتُ عن ذكر نقصهن واختصرتُ
نظمتها من خطبة المؤلف مقدمًا ذكر المتون فاعرف
منهن متن الخرقي ما أجمله شافي أبي بكر مع التنبيه له
تهذيب ابن حامد للأجوبة وابن أبي موسى للإرشاد انتبه

إلى آخر أبياته ، وهي موجودة عندي ، ولي عليها – إن شاء الله – تعليقة ضافية .

✂ حياته العملية :

لقد كان للشيخ رحمه الله أكبر الأثر في مجتمعه ، فإذا ذكر التعليم فهو رائده ، وإن ذكر القضاء فهو أستاذ القضاة ومخرجهم في مدرسته ، وإن ذكرت الفتوى فإليه مرجعها ، وإذا ذكرت الدعوة فهو المتابع الحريص

عليها ، وإذا ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو ذو المواقف ، وهو المؤيد له الباذل من أجله ما يمكنه ، وهو المرجع فيه .

ولقد ولي الشيخ مناصب شرعية متنوعة ، وكان يعد الدخول في الوظائف الشرعية الحكومية من التعاون على البر والتقوى ، والتعاون متعين ، ولهذا كان الشيخ ذا مناصب كثيرة أقضت مضجعه وأذهبت راحته ، يعرف ذلك من كان قريبًا ، لأن الوظيفة الشرعية تكليف وأمانة ، والسؤال عنها غدًا عظيم .

وعلى العموم كانت الأمور الشرعية ، والإدارات الدينية تابعة له ، وكان هو المشرف عليها ، المسؤول عنها ، في الداخل والخارج .

فمن الوظائف الشرعية التي كان هو المرجع فيها والرئيس لها :

1 – رئاسة دار الإفتاء .

2 – رئاسة القضاة (وزارة العدل حاليًا) وتمييز الأحكام (هيئة التمييز) .

3 – رئاسة الكليات والمعاهد العلمية (جامعة الإمام محمد بن سعود حاليًا) .

4 – رئاسة الجامعة الإسلامية ، وكان نائبه سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز .

5 – رئاسة تعليم البنات ، أو الإشراف على الرئاسة .

6 – رئاسة المجلس الأعلى لرابطة العالم الإسلامي .

7 – رئاسة المعهد العالي للقضاء .

8 – رئاسة دور الأيتام (ضمت إلى وزارة العمل والشئون الاجتماعية) .

9 – الإشراف على نشر الدعوة الإسلامية في إفريقيا .

10 - خطابة الجامع الكبير والعيدين ، وإمامة مسجد الشيخ عبد الله .

11 - رئاسة مؤسسة الدعوة الإسلامية الصحفية ، التي تصدر جريدة الدعوة فيما مضى ومجلة الدعوة حاليًا .

إلى غير ذلك من الوظائف والأعمال الدينية التي حملها بعده بضعة عشر رجلاً .

✂ تأسيس الدوائر الشرعية ، ودوره فيها :

1 – في عام 1369هـ كثرت حاجة البلاد للقضاة ، وقد أبدى جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله للشيخ محمد بن إبراهيم الأمر ، وعرض عليه ما تلقى البلاد من مشقة لقلة القضاة ، فأشار الشيخ – ونعم ما أشار – بافتتاح معهد علمي يكون أول السبيل إلى سلم علمي يخرج القضاة ، فوافق الملك .

فافتتح أول معهد علمي بالرياض سنة 1370هـ . وكانت بعده معاهد كثيرة أصبحت ممدَّة لكليات الشريعة التي تخرج القضاة . وهذه كانت نواة جامعة الإمام حاليًا ، وكان أمر المعاهد والكليات الأول الاهتمام بعلوم الشريعة واللغة لا غير .. فما أعظم نفع هذه المعاهد والكليات

كانت نية صالحة أنشأتها ، ورغبة في تحصيل العلم الصحيح ، بعيداً عن الرياء والسمعة ، فما أعظم أثرها ، رحم الله الإمام عبد العزيز والإمام محمداً .

وكانت رئاسة المعاهد للشيخ محمد ، وبعد المعهد افتتحت كلية الشريعة بالرياض سنة 1373هـ ، وكان نائب الرئيس هو الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم رحمه الله .

2 – احتيج إلى إنشاء رئاسة للقضاة يَرجعون إليها في وظائفهم ، ومطالبهم ، وتنظيم المعاملات حتى يكون القضاء في بنيته التنظيمية في أعلى المراتب الإدارية .

فأنشأت رئاسة القضاة سنة 1376هـ ، وتولى الشيخ رئاستها بأمر من الملك سعود رحمه الله ، وكان الشيخ رئيساً للقضاة في مناطق : نجد والشرقية والشمالية ، وأما المنطقة الغربية فكان يرأس القضاة سماحة الشيخ عبد الله بن حسن رحمه الله .

وبعد وفاة الشيخ عبد الله سنة 1378هـ ضمت قضاة المنطقة الغربية إلى رئاسة القضاة في نجد ، فصار الشيخ رئيساً للقضاة في المملكة .

ومما يتصل بذلك جهود الشيخ رحمه الله في تمييز الأحكام الصادرة من القضاة فكان هو المرجع في تمييز الأحكام والصكوك من وقت الملك

عبد العزيز ، وكـان للشـيخ الأثر الكبـير في تنمية (التميـيز) وتقويته حـتى وصل إلى ما وصل إليه .

3 – دار الإفتاء :

لأجل تنظيم الفتـاوى ، وتـرتيب الاسـتفتاءات الموجهة إلى الشـيخ ، وتنظيم ذلك فيما يتصل بالداخل والخارج أنشـأت دار الإفتـاء ، وذلك لما لم يعد مكتب الشـيخ المـنزلي كافيًا في متابعة كل الرسـائل والاسـتفتاءات والبحوث المستجدة .

وقد أنشأت الدار سنة 1373هـ .

وكان من الأعمال المنوطة بها : إصدار الفتاوى ، الدعوة في الـداخل والخـارج ، توزيع الكتب وإمـداد طلبة العلم بما يحتاجونه ، إعـداد البحـوث الخاصة بمسائل نازلة ، أو ردود على مخالفين للسنة ونحو ذلك .

وقد أدخل الشيخ عددًا من طلبته المشايخ ليسـاعدوه ، ولكي يكونـوا من أهل الخبرة في الفتوى والإجابة ، لأنها تحتاج إلى دربة وتعلم .

✂ منهجه في الإفتاء :

1 – كـان الشـيخ رحمه الله ملتزمًا في الفتـوى بما عليه الـراجح من الأقوال عن الإمام أحمد رحمه الله ، وسواء كان هذا مذهبًا للمتـأخرين أم لا ، إلا أنه في الغـالب يوافق ما عليه المتـأخرون ، وكثـيرًا ما يـرجح اختيارات شيخ الإسـلام ابن تيمية وتلميـذه العلامة ابن القيم رحمهما الله ، وما عليه الترجيح عند أئمة هذه الدعوة من الإمـام محمد بن عبد الوهـاب وأبنائه وتلامذتهم .

وهذا يجعل النـاس على منهج متحد ، وفي فتـاوى غـير متضـاربة ، وجمع الناس وعدم اختلافهم مصلحة عظمى ، خاصة إذا علم أن البلاد مسرح للأهـواء ، فالاختلاف في الفتوى سيتبعه تفرق في أنواع شتى .

2 – لم يكن يسـمح لكل أحد من واعظ وخطيب وإمـام ومتخـرج في الفتوى ، بل الفتوى منحصـرة في الشـيخ رحمه الله ومن كـان معه ، والقضـاة في البلاد ، ومن كان معروفًا بسعة العلم ممن لم يكن قاضيًا .

وقد كان يعاقب ويعزر بعض المتجرئين على الفتوى ، أو المخـالفين لمشهور الفتوى .

✂ جهاد الشيخ في الدعوة إلى الله :

1 – لقد ابتدأ الشيخ حياة الداعية شابًا ، وذلك حينما أرسله الملك عبد العزيز رحمه الله إلى (الغطغط) ، وكانت مجمعًا للإخوان الذين جاهدوا مع الملك ، صار عندهم اجتهادات خالفوا فيها العلماء ، ونظرات تجاوزوا فيها ، فكان من الحق الذي لهم أن يبعث إليهم عالم داعية ، يحسن الدعوة وقدمه راسخة في العلم ، لعل الحجة تنفع ، ولعلّ الدعوة تنجع .

كانت رحلته دعوية ، إرشادية ، قضائية ، وذلك سنة 1345هـ ، فمكث ستة أشهر وصاحبه فيها أخوه الأصغر الشيخ عبد الملك بن إبراهيم رحمه الله كاتبًا ومرافقًا وحمل معه كتبًا للمطالعة والمراجعة ، فشرح للإخوان أصول التوحيد وضوابط التكفير ، وبيّن لهم عبارات أئمة الدعوة وفسرها ، واحتج بالنصوص الشرعية ، وقعّد ودلّل ، وشرح لهم الآيات والأحاديث فأفادهم علمًا وعقلاً .

لكن – ولله الأمر – بُثَّت فيهم روح الشقاق ، وعدم القناعة بكلام أهل العلم ، فبلغ الشيخ أنهم يكيدون له ، فأمر بتجهيز مطيته ، وحمل عليها كتبه ليلاً وما خف من متاعه ثم تركهم عائدًا إلى الرياض .

2 – كان الشيخ شديد الحرص على العناية بالدعاة ، فمن أبرز تلامذته الدعاة الشيخ عبد الله القرعاوي ، كان داعية موفقًا ، انتقل إلى منطقة جازان فأثّر في أهلها ، فجعلهم متعلمين ، وأكثر استقامة واهتداءً ، بث فيهم منارات العلم وهي مدارس القرآن ، وكان الشيخ سندًا له في ذلك عند ولاة الأمور ، حتى إنه يسلم المال المخصص للمدارس بيده ، ولا يراجع فيه ولا إثبات بنوع مصروفاته ، وبهذه الثقة التي منبعها الاستقامة والتدين انطلق الداعية ، وكان يختلف إلى الرياض شارحًا للشيخ ما قام به من عمل وما تم من إنجاز مبينًا أحوال أهل الجنوب وقربهم من الخير ، وسرعة انتشار الدعوة فيهم ، وهذه النهضة في جازان اليوم لآثار تلك الدعوة نصيب الأسد فيها .

3 – حرصه على لقاء الدعاة في الأقطار في مواسم الحج ، واستضافة بعضهم ، ومتابعة نشاطاتهم ، وكان يحرص على دعاة التوحيد

والسـنة ، ويتعاهـدهم بتوجيهه ورأيه فيما ينبغي أن يعملـوه أو يخططـوه لمستقبل الدعوة .

4 – اهتمامه برابطة العالم الاسلامي – وكان رئيسًا لمجلسها الأعلى - ، وما ينبغي أن توجه جهود علماء المسلمين إليه في اجتماعـاتهم ، ففي رسالة بيّن بها الأمور التي يجب عقد المجالس والاجتماعات لها ، قال :

" إنما الهـام هو النظر في الأصـول العظـام الـتي الإخلال بها هـادم للدين من أساسه ، وذلك : مسـائل توحيد الله بإثبـات ما أثبت لنفسه في كتابه ، وأثبته له رسوله ✕ من الأسماء والصـفات : إثباتًا بلا تمثيل وتنــزيهًا بلا تعطيل .

وكذلك توحيد الألوهية ، وتوحيد الربوبية .

وكذلك توحيد الاتباع ، والحكم بين الناس عند النـزاع ، بـأن لا يحـاكم إلا الكتاب والسنة ، ولا يحكم إلا بهما . وهذا هو مضمون الشـهادتين اللـتين هما أساس الملة ، شـهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسـول الله ، بـأن لا يعبد إلا الله ، ولا يعبد إلا بما شرعه رسوله ✕ وأن لا يحكم عند النــزاع إلا ما جــاء به رســوله ✕ هــذا هو الحقيق بــأن يهتم به ، وتعقد المجــالس والمجتمعات لتحقيقه وتطبيقه " اهـ .

5 – كان الشيخ رحمه الله رئيسًا للمعهد الإسـلامي في نيجيريا ، وكـان هو المشرف على نشر الدعوة في إفريقية .

6 – كـانت المراكز الإسـلامية في أوروبا ترسل إليه بمشـاكلها ، وهو يتابع الأنشطة فمما جاء في ذلك مما ضمته (الفتاوى) قال الشـيخ رحمه الله :

" الحمد لله والصــلاة والســلام على نبينا محمد وعلى آله وأصــحابه أجمعين

أما بعد : فقد اتصل بي الحــاج الســيد جــواد مقــدس رئيس جمعية مسلمي بريستول بـانجلترا ، ومعه كتـاب من سـكرتير الجمعية يعـرف فيه بالسـيد جـواد المـذكور وقد شـرح لي نشـاط الجمعية المـذكورة في الدعوة الإسلامية ، وطلب مني إعطاءه بعض الكتب ، وقد أعطينـاه بعض الكتب الإسلامية والسلفية .

كما طلب أيضـــًا الإذن له في تعليم القـــرآن ، ونشر العلم في تلك الربـــوع وأذنا له في ذلك أيضـــًا ، ســـائلاً الله لي وله التوفيق والســـداد .
(التوقيع) مفتي المملكة العربية السعودية " .

6 – إنشاء مؤسسة صحفية تقوم بواجب الدعوة ، وقد أصـدر الشـيخ رحمه الله كتابًا مؤرخًا في 23/7/1384هـ جاء فيه :

" نظرًا لحالة المســـلمين الحاضـــرة ، وحاجة الأمة إلى الـــدعوة الإسلامية فقد قمنا بتأسيس مؤسسة للـدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسـنة ، لتأخذ بأيـدي الشـباب المسـلم عن الوقـوع في شـراك المبـادئ الهدامة والأفكـار الفتاكة المسـمومة ، ولتـبين للنـاس محاسن الإسـلام ، وصلاحيته لمعالجة جميع المشاكل البشرية في كل زمان ومكان .

ولما كانت الصحافة لها أثرها الكبـير في عصـرنا الحاضر ، فقد تقـرر أن يصدر عن هذه المؤسسة الصحفية صحيفة يومية تصدر أسـبوعيًا مؤقتًا ، ومجلة شـهرية علاوة على ما نؤمله في المسـتقبل القـريب إن شـاء الله من قيام هذه المؤسسة بإرسال الدعاة إلى الله في أنحاء العالم .

ولما كـان وجـود أصـحاب السـماحة والفضـيلة أعضـاء المجلس التأسيسي بمكة فرصة نادرة بالنسبة للدعوة الإسلامية أحببت أن أخـبرهم عن هـذه المؤسسة وأهـدافها ، راجيًا منهم مسـاعدتها بإرسـال المقـالات النافعة والآراء السديدة نحوه هذه المؤسسة .

وسوف يصـدر العـدد الأول من الصـحيفة قريبًا بـإذن الله ويصل إلى حضراتكم مجانًا .

وعنوان المؤسسة المذكورة كالآتي :

(مؤسسة الدعوة الإسلامية) شارع أحمد بن حنبل – الرياض " اهـ .

ولقد كان الشيخ في دعوته إلى الله متبعًا أصول دعوة الإمام المجـدد الشيخ محمد بن عبد الوهـاب رحمه الله من تأصـيل التوحيد في النفـوس ، والنهي عن الشرك ، والحث على الالتزام بالسنة ، ونبذ البـدع ، والـدعوة إلى تحكيم الشريعة الإسلامية في جميع الشؤون ، وإلى تربية النفـوس وتزكيتها بالعمل الصالح والاتباع لسـلف الأمة ، والأمر بـالمعروف والنهي عن المنكر على قاعدة تحقيق المصـلحة ودرء المفسـدة ، والالـتزام بنصـرة ولاة الأمر الكرام من آل سعود الذين نصروا الدعوة ، وطبقوا الشريعة .

✂ ثناء العلماء والأدباء والمثقفين عليه :

لقد كان الشيخ المفتي رحمه الله مجمعًا على الثناء عليه – فيما أعلم – وائتلفت القلوب على محبته ، لما كان عليه من إيمان صادق – ولا نزكي على الله أحدًا - ، وجهاد وتعليم ، وتقوى ، وقيادة .. إلى غير ذلك من سجاياه وأخلاقه .

وأذكر هنا بعض ما وقفت عليه من ثناء العلماء عليه مما لا أعلمه قد نُشِر من قبل :

1 – قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله :

" لقد أكرمني الله سبحانه وتفضل علي وله الحمد والمنة بأن كنت من أخص تلاميذ شيخنا المذكور ولازمته نحو عشر سنين من عام 1347هـ إلى عام 1357هـ ، ثم تعينت في القضاء بعد ذلك ، ولكني لم أنقطع عن الاتصال به وسؤاله عن كل ما يشكل ، والاستفادة من علومه وتوجيهاته إلى أن توفي رحمه الله .

وقد حضرت له مواقف مشرفة ، وشاهدت منه أعمالاً موفقة في نفع المسلمين والغيرة للإسلام والرد على خصومه أجزل الله له المثوبة .

وكان يوصي الطلبة كثيرًا بالدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن ، وكان واسع العلم كثير الخوف من الله سبحانه ، دقيق الفهم ... ومناقبه وفضائله كثيرة جدًا " اهـ .

2 – وقال الشيخ العلامة ذو الفنون محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله :

" عرفنا فيه وفور العلم ووفور العقل وتمام الحكمة والصبر المنقطع النظير ، فهو رحمه الله فيما أعتقد وأجزم به – وإن كنت لا أزكي على الله أحدًا – من نوادر الرجال الذين عرفناهم علمًا وحلمًا وعقلاً وحكمة ، فنرجو الله أن يتقبل منه صالح عمله ، وأن يجزيه كل خير ، ويعلي درجته في الآخرة كما أعلاها في الدنيا ☸ وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً ☯ .. " اهـ .

3 – وقال الشيخ سعدي ياسين رحمه الله :

" أما سماحة مفتينا الفقيد تغمده الله برحمته فقد سلك مسلك أئمتنا الأعلام من علماء السلف فكنت وأنا أسمع فتواه تلك كأني أستمع إلى سفيان بن عيينة أو ابن علية أو ابن أبي ذئب .

وكان رحمه الله متين الحفظ مستحضر الآيات لا يكاد يشتبه عليه شيء منه .. ولقد رأيته عن كثب بعبادته وأذكاره في ليله ونهاره ، وحرصه على حضور الجمعة والجماعة وإخباته قبل الفجر وبعده مما حببه إلي وأكبره في نظري .. إلخ " .

4 – وقد حلاّه العلامة الدكتور الداعية السلفي تقي الدين الهلالي رحمه الله بقوله :

" الإمام العلامة بقية السلف وعمدة الخلف ناصر السنة الأستاذ الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ .. "

✂ وفاته – والمراثي :

في عام 1389هـ أو في أواخر الذي قبله بدأ الشيخَ رحمه الله مرضٌ عضال ، فسافر للاستشفاء إلى (لندن) ، ولم ينتفع بالعلاج هناك ، وحدثني بعض مرافقيه أنه في آخر أيامه في المستشفى قبل رجوعه إلى (الرياض) كره الطعام ، فقدم له كأس لبن فطعمه ثم تركه فقال له من حدثني : إنه زين وطيب ، فقال الشيخ رحمه الله : صحيح ، ولكن ليس بزين للميت .

ورجع إلى الرياض فلازم الفراش ولسانه يلهج بذكر الله والثناء عليه ، لا يفتر عن ذلك حتى تم أجله وفاضت روحه في صبيحة يوم الأربعاء من يوم 24 رمضان سنة 1389هـ .

وكان المصاب عظيمًا ، هوى له أحد وانهد ثكلان ، وصُلِّيَ عليه ظهر ذلك اليوم وكان إمام المسلمين في الصلاة عليه تلميذه سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز .

ولما تسامع الناس بالخبر ، تصدعت الأفئدة ، ونكست الأذقان ، فكم من دمعة ترقرقت ، وكم من حزن قضى ، وكم وكم ، ولكن إنا لله وإنا إليه راجعون .

فلما سِير بجنازته تذكر المتذكر جنازة الإمام أحمد بن حنبل أو ابن تيمية من ذوي الجنائز المشهودة ، فلا تحصي الألسنة المترحمة عليه والمستغفرة له وبالها من غبطة (أنتم شهداء الله في أرضه) .

ولقد تتابع الناس من أنحاء المملكة يفدون بأنفسهم يعزون ، ويستغفرون ، ويشهدون للفقيد بالإحسان .

وتتابع ذوو الأقلام يرثون إمامَ وقته ، فكم من عالم نثر رثاءه ، وكم من عالم نظم رثاءه ، وكم من مثقف كتب ، وكم من عاقل سطر ، والعجز عن وصف المشاعر سمة الجميع ، فجزاهم الله خيراً .

وليس هذا المقام الموجز مقام تفصيل لتلك المراثي ، وبيان ما كتب عنه .

رحمه الله رحمة واسعة ، وجعل مثواه جناته ، مع الحبيب المصطفى ، وأصلح وبارك ونفع بولده من بعده ، وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين .